نحو أعلام أفضل

للدكتورة احسان عسكر

الإعلام فى أبسط صوره تواصل اجتماعى انسانى يتم من خلاله نقل الخبرات ورعاية القيم وتنشيط الفنون وتنظيم العلاقات وتبادل المعلومات وقد اكتسب هذا الإعلام فى سباق الحضارة الحديثة قدرة بما أمدته تكنولوجيا العصر من إمكانات زادت من تشعب قنواته وفاعلية شبكاته وامتداد تأثيراته بحيث تجاوز فى أبعاده حدود المكان والزمان .

وعلى ضوء هذا الواقع سعت الأمم على اختلاف قدراتها ومواقفها الحضارية إلى تدعيم شبكاتها الاتصالية من أجل تنمية الخبرات والمشاركة الفعالة فى إدراك المعلومات وقد زادت حاجة الشعوب إلى الإعلام بازدياد تعقيد الحياة الإنسانية وتشابك النسيج الاجتماعى واتساعه واختلاف المفاهيم وتضارب المصالح .

على أنه من الأهمية ونحن نتعرض لماهية الإعلام وجوهره أن نميز العمليات الاتصالية بمراحلها ومحتواها وشبكاتها ووسائلها إذ قد يكون الهدف من الإعلام نقل الأخبار وتبادلها أو يكون الغاية من الاتصال تبادل الآراء ونشر الأفكار وعلينا إذن أن نضع الحدود الفاصلة بين الدعاية والإعلان والرأى والخبر حتى يأتى الاتصال مؤثرا ناجحا حائزا على الثقة محققا للأهداف .

ومن أجل اعلام أفضل علينا أن نجعل الاتصال غزيرا أى شموليا ، مدعما أى مستندا لقيادات لها احترام فى النفوس وقدرة على طرح القضايا وعلاج للمشاكل وتقديم للحلول .

ومن الأهمية أن يكون الإعلام إلى جانب ماتقدم شعبيا أى لايكون سلطويا بل معبرا عن الرأى العام هذا إلى جانب كونه قوميا أى محققا للصالح العام من حيث الجوهر والمضمون .

ومعوقات الإعلام على صـــور وأشكال وهى ترجع فى جملتها إلى أوضاع التخلف على مستوى الدولة والفـــرد وهى أوضاع تؤدى إلى قصور الرؤية وقلة القيادات المدربة وندرة الإمكانات البشرية ذات الاقتدار ، فهذه الأمور مجتمعة تحول دون تملك زمام التوجيه الفعال للبلوغ بالرسالة الإعلامية إلى مواطن التأثير من أجل تحقيق الاستجابات المستهدفة من الاتصال وينصح خبراء الإعلام تجنب الاختيار العشوائى لوسائل الاتصال لتقليل الفاقد من الوقت والجهد والمال ولكى لاتشكل الوسيلة حاجزا ومعوقا يؤدى إلى فشل الاتصال .

ومن الأهمية إذن إدراك الترابط الموضوعى بين معايير اختيار الوسيلة ومحتوى الرسالة التى تعبر عنها هذا إلى جانب الادراك التام للموقف الاتصالى بأركانه وأبعاده حيث إن هذه المتغيرات تحدد طرق الاتصال ونوعيتها ووسائلها الأصيلة والمكملة . ويدخل فى الاعتبار إلى جانب العوامل التى مر ذكرها نوعية الجماهير المستقبلة للإعلام أى الرسالة إذ فى إطار توعية الجماهير وماهية الأهداف والمحتوى والمضمون يتم تحديد الموقف الإتصالى الملائم لهذه المتغيرات على ان المشكلة بدت أكثر تعقيدا .

وإن ربطت أنحاء العالم ووسعت قاعدة الإنتاج والتبادل للمواد المصدرة إلا أنها جعلت الوصول إلى المستهدف الإعلامى أشد تعقيدا وأكثر صعوبة فادارة هذه الوسائل والاستخدام الكفء لطاقاتها يتطلب القيام بترتيبات مسبقة لحل مشكلات معقدة فى ميدان الإنتاج والتنسيق من أجل تيسير عمليات الاستقبال والتبادل بين الأنظمة الهندسية المختلفة وذلك إلى جانب الوصول إلى مخارج للمواقف القانونية مثل حقوق المنظمات المنتجة للبرامج ومنع الفرضى والتداخل بين المصادر وتنظيم الإرسال القضائى ومنع الاستيلاء الاحتكارى على بعض شبكات الاتصال .

ومن الواضح أن هذا كله يقتضى أن تعمد البلاد القادرة على هذا اللون من الاتصال إلى المشاركة الفعالة من أجل الوصول إلى أنظمة فضائية اتصالية تمنع المناقسات غير المشروعة والاستخدام الاحتكارى للشبكات .

على أن هذا لا يؤدى إلى إنكارنا للاستخدامات الهادفة لشبكات الأقمار الفضائية من أجل سرعة الاتصال وغزارته ومن أجل تبادل المعلومات والوقوف على عناصر التكنولوجيا الحديثة . فهى قناة مؤثرة ترفع من المستوى الفنى للبرامج عن طريق التعاون والإنتاج المشترك وهى تعمل إلى جانب ما يتقدم على تيسير الاستفادة من الخبرات المتوفرة على المستوى الدولى إلى جانب تحقيقها لتدفق إخبارى متوازن .

وعلى هذه الصورة توفر الاستخدامات الفعالة لهذه الشبكات وسائل سريعة ومجدية للمشاركات العلمية إذ تربط المنظمات والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث والتوثيق هذا إلى أنها توسع دائرة التبادل العلمى وتدفع عمليات التكامل خطوات إلى الأمام .

وتتجلى فائدة هذه الشبكات الاتصالية الكبرى فى دفع التعاون الحضارى إلى الأمام بما تقدمه هذه القنوات الفضائية من برامج للتدريب والتعليم وتنمية الخبرات .

ورغم هذه النظرة التفاؤلية فان الواقع قد دل على أن من العسير تحقيق إعلام أفضل فى ظل مصالح متناقضة وهيئات متباطئة وتشكيلات متحفظة وأجهزة مترددة فى اتخاذ القرارات .

ومن الحلى أن التعويق فى تطور هذه التكنولوجيا الاتصالية يكمن بالدرجة الأولى فى نقص الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا فى نقص هذه الرسائل الفضائية .

واذا كانت التكنولوجيا فى ميدان الاتصال عبر الفضاء قد زادت من امل الإنسان فى اتصال سريع مباشر على المستوى العالمى أى اعلام أفضل فان علينا لتحقيق هذا الاستخدام الأمثل لهذه الوسيلة المتقدمة أن تطور انفسنا ونغير من طرائق تفكيرنا ونبدل من أساليب حياتنا حتى لا يقف واقعنا المتجمد وهياكلنا المتداعية وأنظمتنا المتصلبة دون تطوير استخداماتنا الهادفة لوسائل الفضاء فقد دل الواقع على ان التباطؤ فى التطور الفكرى والرفض العنيف لهذا المفهوم الصحى للاتصال وجمود الانظمة السياسية والاقتصادية ووقفتها العنيدة تجاه هذه المتطلبات قد شكل هوة بين التكنولوجيا والنظم الدوليه ومنع الامتصاص الحضارى لهذه المستخدمات .

ومن الواجب إذن أن يتحرك المجتمع الدولى ليباشر مسئولياته الإعلامية كى لاتشكل ثورة الاتصالات هذه انفصالا فعليا بين الذين يملكون والذين لا يملكون فهذا التحرك يتطلب بالدرجة الأولى تأسيس هياكل جديدة وتنظيمات دولية جديدة لتطويع هذه الوسيلة الجديدة لخدمة الأهداف .

ومسئولية هذه التنظيمات والهياكل إذن هو مقاومة نزعة الاتجاه الواحد والتركيز النسبى لمصادر التوريد أى مقاومة انعكاسات العلاقات الدولية على قنوات الاتصال بالسعى لإرساء أسس المفهوم الحر للتعبير والإسهام فى وضع سياسة اتصالية رشيدة تبتعد عن الأرض الهشة التى تقف عليها الآن الهيئات الدولية العالية النمو التى تتحكم فى صنع القرارات .

ولا شك أن خدمة المجتمع تتطلب إثراء هذه البحوث والسير فى هذه الدرسات ومعالجة القضايا الإعلامية بجوانبها المتعددة هذا مع حث العاملين فى مجالات الاتصال الدولى إلى مراجعة مواقفهم اى إعادة النظر فى هذه الاستخدامات الفضائية للوصول فى إطار الوسائل إلى مفاهيم جديدة وبدائل جديدة تعالج ما فى الواقع من ثغرات .

إن البث الفضائى قد فتح آفاقا لتصورات خبراء الإعلام الذين عكفوا على دراسات مستفيضة تعتبر من الخطوات الهامة والحادة فى طريق تحقيق إعلام أفضل .

وبقى علينا أن نخطط الأبحاث على ضوء التجارب ونقيم النتائج فى إطارات القيم والمثل وتنظم الموارد الفضائية على ضوء الإمكانات لدفع هذه الشبكات الاتصالية إلى غاياتها أى نحو المثل والأهداف .

وعلى الدول النامية أن تخطو خطوات سريعة نحو دراسة هذا الواقع الاتصالى لاتخاذ القرارات التى تتلاءم ومصالحها وذلك خوفا من أن تقع ضمن مناطق الاحتواء لمشروعات فضائية لا يراعى فيها احتياجاتها أو متطلباتها أو ظروف مجتمعاتها . فان من الأهمية بمكان أن تجد هذه الدول المتطلعه إلى التقدم موقع قدم فى هذا التنافس الإعلامى أى أن تقف على مدار قائم كى تحتفظ لوسائلها واتصالاتها بالحيز الملائم قبل أن تواجه بغزو ساحق للفضاء فان أخطر ما يكون على العالم لا على الدول النامية فحسب . أن تكون اتصالات الفضاء وسيلة للإشاعات المغرضة والأفكار الهدامة أى تكون أسلوبا من أساليب الضغط السياسى أو السيطرة الاقتصادية أو الاجتماعية على الأمم والشعوب .